

الصحراء في كتابات مليكة مقدم

desert in the writings of Malika Mokeddem

د(ة). سارة بولكعيبات *

تاريخ النشر: 2024/12/20	تاريخ القبول: 2024/01/19	تاريخ الإرسال: 2023/06/30
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى اظهار العلاقة بين الكتابة السردية، والفضاء المكاني الذي يفرض نفسه في كل كتابات مليكة مقدم، لتقرر العودة إلى مسقط رأسها من خلال الكتابة، هذه العودة المحفوفة بالمخاطر وكذلك باليمنوعات، تروض من خلالها الكاتبة وحشة الأمكنة، لتصبح الصحراء فضاء حميميا، يعج بالعواطف والأحاسيس.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، فضاء، مليكة مقدم.

Abstract:

This article probes to demonstrate the relationship between narrative writing, the spatial space that imposes itself in all Malika writings submitted, to decide to return to her hometown by writing, this risky return as well as forbidden, through which the writer tames the monster of places, to become an intimate space desert, teeming with emotions and sensations.

Key words: Desert, Space, Malika mokeddem

*** **

المؤلف المرسل: بولكعيبات سارة boulkaibet.1987@gmail.com

* جامعة قسنطينة 1، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر الترجمة

boulkaibet.1987@gmail.com

1. مقدمة:

تكتب مليكة مقدم الصحراء في أغلب روايتها ويمثل هذا الفضاء انتماء الكاتبة التي تعود اليه كلما أخذها الحنين الى طفولتها والى المكان الذي قطعت عنه بعد أن اختارت الهجرة الى فرنسا، وتزوجت خارج أعراف قبيلتها، أين تمردت على كل ما يربطها بأصولها من دين وعرف وتقاليد، وذلك في محاولة منها لإسماع صدى صوتها في فضاء مختلف تماما عن الفضاء والثقافة التي جاءت منها، غير أن مليكة من خلال هذه العودة المتواصلة على مدار أكثر من ثماني سنوات في خمس روايات متتالية (الرجال السائرون، قرن الجراد، الممنوعة، ليلة السحلية، أحلام وقتلة، رجالي والمتمردة)، أثبتت أن المنفى الحقيقي الذي تعيشه هو داخل الصحراء لا خارجها.

لذلك سنطرح التساؤل التالي:

كيف تجلت الصحراء في كتابات مليكة مقدم الأولى الرجال الذين يسرون، قرن الجراد، الممنوعة؟ وماهي العلاقة بين الصحراء وحياة الكاتبة الشخصية؟ ما هو الغرض من كتابة الصحراء؟

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح علاقة الكاتبة مليكة مقدم والفضاء الذي ولدت فيه.

2. الصحراء والمنفى في كتاباتها:

تكتب مليكة مقدم روايات عديدة باللغة الفرنسية ولها العديد من الجوائز، تجمع كتاباتها فضاءات مختلفة (الصحراء، البحر، فرنسا، وهران، بشار وكذلك عين صالح) ومتناقضة، ومنفتحة على التأويل لارتباطها بالحياة الشخصية للكاتبة، تبدوا من خلالها وكأن الكاتبة تروي قصتها الخاصة، فيربك الفضاء القراء ويشتهم، ليتساءلوا عن مدى تطابق الأحداث والأماكن بين الرواية والواقع، وهذا ما يعطي الفضاء أهمية في تأنيث الرواية من حيث قدرته على إيهامهم بوجود مساحة حقيقية، ولكننا لانبحث عن هذا التطابق بالرغم من اعترافها الدائم بذلك، وذلك اعتقادا راسخا منا أن كل كتابة في حقيقة الأمر، هي جزء من كاتبها وهي حالة بوح قصوى جعلت الكاتب يلفظها إلى

غيره ليستريح ويريح بها قراءه، غير أن فضاء الرواية يظهر مدى التزام الكاتبة بالمكان، وأهميته بالنسبة لها لنبحث عن علاقة الكاتبة بهذا المكان، خاصة اذ ما تعلق الأمر بكتابة تمردت على المكان والزمان الذي وجدت فيه وكذلك على المكان الذي اختارته بمحض ارادتها، ولان الصحراء كانت الفضاء الغالب على نصوص مليكة الأولى، وكذلك مثلت عودتها الى الوطن، أين نبحت لماذا تكتب مليكة الصحراء؟

1.2 الصحراء فضاء جمالي:

تفتح الصحراء على كل ممكن ومعقول في الحياة فهي "الفضاء الواسع" الذي لا حدود ولا فواصل ولا حواجز، تقف بينه وبين متأمله، فهو المطلق الذي يحمل دلالات خاصة، غير شبيهة بأماكن غيره، "فتبر الرمل الأصفر، وزمرد السماء الأزرق عندما يتحدان عند خط الأفق لا يميز الناظر أيهما يغرق في لجة الآخر" ² هذا الفضاء الخلاب جعل عديد السّياح يسّيرون في اتجاه المجهول، من أجل تأمل أجمل شروق وأجمل غروب من صحراء الجزائر، لذلك فمقدم تصف هذا الجمال وتوظفه في رواياتها لنفس الغرض وهو استغلال هذا الجمال في مداعبة اللغة وإظهار إمكاناتها في كل رواياتها مع استثناء رواية نزيد (nezid) اين تنتقل الكاتبة الى فضاء البحر لتضع البحر في مواجهة الصحراء، لتحاول في هذا الفضاء المغاير البحث عن هويتها المفقودة على مدار الرواية، غير أنها في رواياتها الأخرى، تواجه البطلات مصيرهن وهن يقفن على كتيب الصحراء الذي تتفنن الكاتبة في وصفه بدءا بروايتها الأولى "الرجال الذين يمشون" (Les hommes qui marchent) التي تمثل العود الأولى للوطن بعد غياب أكثر من ثلاثة عشر سنة، تقرر مليكة مقدم العودة إلى الوطن من خلال كتابة تنقالات البدو، وحكاياتهم وثقافتهم اعتمادا على رواية قصتها الخاصة أين تربط بين الماضي والحاضر، من خلال الحديث عن الجدة "زهرة" والحفيدة "ليلي" لتسترجع أحداث تاريخية كثيرة، غير أنها تغرق نصها في الحديث عن الصحراء وارتباط بطلتها بالكتيب فتقول: "هناك على بعد مائة متر على يسار المنزل، اجتاح المتدحرج تلة بأكملها، وغطوها في منتصف الطريق فوق الكثبان الرملية في المقدمة، ظهرت صخور ذات مغارة عميقة تزين باللون البني الذهبي للرمال مثل حزام المرجان، في الأعلى سلسلة من التلال

الصخرية البيضاء، مجوفة من الكهوف، مثل إكليل يتوج المنحنيات الحسية للكثبان الرملية"³ تحاول من خلال هذا الوصف أن تعطي لمسة جمالية للمكان، لكنها لا تجعل منها ديكور إضافي، فهي تحرص على أن تعطيها دورا أساسيا يرافق ويدعم بطلاتها دون هواده،

فالكثبان الرملية ملجأ تستعين به "ليلي" بطلة الكاتبة كلما شعرت بالوحدة، والحزن "سمحت لنفسها بالذهاب في الرمال عندما يدخل المرء البحر فلتفت وتكورت، كما في حضن الأم، هناك تم إخماد كل شيء، أحزان الرجال وكذلك دمار تاريخهم، كان كل شيء بلا حراك، وكذلك الحزن الذي بدا للتو لا يمكن التغلب عليه، تبدد ببطاء، مدفوعا بروائح الكثبان الرملية [] نامت وفي أحلامها تركت العالم المضطرب والمشوه بالرجل الجامد، ذهب مع الذين سارو في النور والريح عبر الصحراء"⁴ لترسم لوحة فنية تنقل من خلالها دفع الصحراء الذي يصبح بديلا عن حضن الأم والذي يكون مصدرا لشفاء من كل ألأم الماضي أين تنقلها روائح الكثبان إلى عالم مثالي خالي من كل استبداد أو ألم، وهنا تنتقل مباشرة من الوظيفة الجمالية إلى الوظيفة الشفائية تعطي فيها الصحراء بعدا استشفائيا لا يوجد في فضاء آخر غير البحر، عاشت الكاتبة مدة زمنية لأبأس بها في الصحراء ولكن الصحراء ليست الفضاء الوحيد الموجود في الروايات فمقدم تعيش حاليا في بلد مغاير تماما أو نقيض المكان الذي ولدت فيه (مونبلييه في فرنسا) هذا التناقض والاختلاف كان موجودا في رواياتها أين تعطي لمكان واحد صفتين مختلفتين متناقضتين لتكون الصحراء مصدر كل جمال إلا أنها تتحول فجأة إلى بيئة معادية قبيحة ومؤلمة للتحويل الوظيفة الجمالية الاستشفائية إلى وظيفة سلبية أين تكتب في روايتها الرجال السائرون، تقول: "لا يوجد شعور بالحبس أسوأ من ذلك الذي نشهده في وجوه العشرات المكشوفة، بالتأكيد، في جحيم مأساة، تحجرت إلى الأبد، بلا خلاص، لم تخضع الصحراء سوى عمال الإغاثة الفرنسيين الذين اجتازوها هم أنفسهم من جانب إلى آخر وتركوها في الصيف إلى أماكن أكثر تساهلا. يقينا منهم أنهم يستطيعون المغادر بشكل نهائي عندما قرروا ذلك، فقد عاشوا ذلك بسرور، كانت ليلي خائفة جدا من عدم قدرتها

على الهروب منه أبدا لدرجة أنها كرهت الصحراء الطاغية. سمائها الرهيب وفراغاتها المذهلة تضلل بصرها. وتستملك آمالها.⁵

استخدام كلمة: الجحيم، المأساة، الطغاة، كل هذه المصطلحات تحول أجمل الأماكن إلى أكثرها رعبا والمأ لتؤكد على سلبية هذا الفضاء ولأن هذا الفضاء يمثل الحالة النفسية والذهنية للكاتبة التي تتلقفه من أجل النجاة حيناً وتلقمه غضبا وتمردا وحاجة إلى الفرار والهروب منه حيناً آخر، ليكون هذا الفضاء هو المنفى الحقيقي الذي تغرق فيه الكاتبة، باحثة عن الطفلة التي تركتها خلفها هنالك في الصحراء.

وهو ما نجده في الرواية الثانية قرن الجراد، التي تتحدث عن الطفلة ياسمين التي تتعرض لصدمة نفسية بسبب قتل والدتها نجمة أمام عينيها، فتتوقف عن الكلام، ولكن والدها لا يستسلم في محاولة الانتقام من القتل وكذلك في البحث عن حل لابنته، أين تبدأ الرواية في وصف المكان وأسلوب العيش هنالك "تجلس نجمة أمام الخيمة، وهي تراقب المناظر الطبيعية، سماء زرقاء، بقدر ما تراه العين امتداد الصحراء، الشجيرة الوحيدة على بعد عدة ساعات من المشي، توجد أمام الخيمة"⁶ في وصف جميل وهادئ لصحراء، قبل أن يعكر هذا الصفاء قدوم وحوش ضارية من البشر، تحاول مليكة مقدم تقريب صورة الصحراء إلى قراءها حتى أنها تعتمد على أحد نصوص الكاتبة الرحالة ايزابيل ايبههارت التي تركت خضرة سويسرا واستقرت في جنوب الجزائر الى ان توفيت بها، هذا النص الذي تضعه مليكة مقدم كمفتاح لنصها السابق "قرن الجراد" تقول فيه الرحالة "وأنا أفهم أيضا أنه يمكن للمرء أن ينتهي بسلام وصمت بعض الزوايا في الجنوب، وينتهي به الأمر في نشوة، دون ندم أو رغبة، في مواجهة آفاق رائعة"⁷.

إن القارئ لهذه الفاتحة يفهم كيف هامت ايزابيل في صحراء الجزائر وهي تبحث عن السلام الروحي، أين اشتركت في ذلك مع مليكة مقدم، التي راحت هي الأخرى تبحث عن الصحراء في شوارع مونيبييه، لتكتب في روايتها الثالثة "المنوعة" تقول: "لم أكن أتصور أبدا بأنني أستطيع العودة يوما إلى هذه المنطقة ومع ذلك، لم أبتعد عنها بشكل نهائي أبدا، كل ما فعلته أنني ألحقت الصحراء والحزن الشديد إلى

جسمي المهجر وبقيت مجزأة بينهما"⁸ لتشتكي سلطانة بطة الرواية حاجتها الدائمة لهذا الفضاء الذي لم تنقطع صلتها الروحية به، وانها ألحقت الصحراء بجسدها الذي ظل يعاني الوحدة والحرمان، تقول: "قلب متشابك، محاط بالكثبان والنخيل، أرى نفسي وأنا مراهقة، أغادر المنطقة لألتحق بداخلة إحدى الثانويات في وهران، أتذكر ظروف الذهاب الصعبة. بعد ذلك تكسر الزمان تحت ضغط الهروب، القطيعة، الغياب والمنفى ما ذا بقي بعد هذه الرحلة؟ ركام من المخاوف، المتاع المحتوم لكل مرتحل. ولكن الزمان، حينما يقترن بالمسافة، يعلم ترويض اسوء الهواجس. تدجننا. ينتهي بنا الامر إلى تعايش الجلد نفسه بأقل تمزق ممكن."⁹ تهرب البطلة من الصحراء رغم تعلقها بها، اين تعيش بطلاتها حالة من التمزق مرتبطة بالفضاء الذي عاشت فيه الكاتبة في طفولتها، وهذا الفضاء المختلف الذي هربت اليه، لم يستطع أن يعوض صحرائها غير انه كان كفيلا بترويض مخاوفها.

2.2 الصحراء فضاء رمزي:

توظف مليكة هذا الأسلوب من الكتابة لتجعل من الصحراء فضاءها الشاسع يغرق نصها بإحالات مباشرة وأخرى غير مباشرة، مرتبطة بالصحراء، فالجدة التي تحدثنا عنها مليكة مقدم بكل تفاصيلها تمثل في حقيقة الامر الصحراء، وكذلك حب الجدة مغموس في حيا لهذا المكان من الأرض، أين تشعرنا مليكة مقدم أن الكثبان الرملية التي تطلق عليها اسم لبرغا "barga" والذي يتميز عن الكثبان الرملية الأخرى "erg" أنها شخصية أساسية في طفولتها وليست مجرد فضاء، تعوض من خلالها مليكة مقدم علاقتها الجافة والمهزوزة "بالأم" تقول "أه كيف لبرغا، هذا هو ايم كثيي، مرتفع جدا، وبهذه الطريقة التي وفرت لي حضنا ضد غزو الآخرين، وقد أحبطتني احتمالية التسلق الشاق، ليرحب حضن الرمال بحزني أو غضبي أو مجرد حاجة للسلام، خلال النهار، سلام ووحدة، هذا هو المكان الذي أتيت فيه لتذوقهم، الهروب من الأعمال البيتية، وأوامر والدتي، الصيحات والمشاحنات بين الاخوة والأخوات، اللجوء إلا هذا الصفاء الدافئ لقراءة مذاق السعادة [...] هناك مكان يحفظني ويواسيني في لقنادسة، يمثل الكثبان الرملية، أكثر ما هو مألوف بالنسبة لي، وأكثر ما هو حميمي"¹⁰ هذه الفقرة تظهر مدى حميمية المكان بالنسبة للكاتبة وكيف لها أن وجدت

بديل عن الدفيء العائلي في الكثبان الرملية، فهو المكان الذي تستشف فيه الكاتبة السعادة، وبالتالي لا يوجد مكان آخر يعوض هذا الفضاء اللامتناهي تدافع عنه في روايتها الثانية تحت عنوان "قرن الجراد" "Le siècle des sauterelles" وكان "الأحرى به أن يكون "الجراد القادم من الشمال"، ولأن مليكة مقدم تكتب رواياتها في دور النشر الفرنسية، تضطر الى استخدام الرمز والتشفير في كل ما يتعلق بالآخر القادم من وراء البحر المتوسط، خاصة في بداية كتاباتها لتوضح كيف أن الجنوب ضحية للأقوايل فأشد الجراد فتكا هو ذلك الذي يأتي من الشمال، أين تجعل والدة البطلة تحت اسم نجمة التي تحيلنا الى رواية كاتب ياسين، فنجمة كاتب ياسين كانت محبوبة من الجميع أين أحاط بها الطامعين، وهي لم تكن في حقيقة الأمر إلا الجزائر، وهو ما ترمز اليه أيضا نجمة مليكة مقدم السمرء التي تمثل الصحراء والتي يتم اغتيالها من طرف مجهولين قادمين من الغرب "وفجأة تنقب الكلبة بأذنيها، وتقفز وتبدأ بالنباح، تعيد نجمة عينها إلى هذا المشتبه به البعيد لا شك الآن شخص ما قادم من الغرب في اتجاهها، لا يمكن أن يكون محمود، سيأتي من الجنوب"،¹¹ هذه الإحالة تظهر كيف يأتي العدو من الغرب، هذا العدو الذي يلقب نجمة بالعبداء السوداء يحتقرها ثم يعتدي عليها ثم يقتلها أمام ابنتها التي لم تتجاوز الثامنة والتي تصبح خرساء بعد ذلك، أين توضح مليكة مقدم العلاقة بين الغرب والجنوب فهي علاقة استغلال واحتقار، تظل فيه الأجيال تعاني جراء ما عاشه الاباء، فقد أخرجوا إلى الابد، وهي فاجعة ما بعد الاستعمار التي تحدث عنها فرنس فانون (Frantz Fanon) في كتابه معذبو الأرض. والذي يبدو أن مليكة مقدم تريد تأكيد ما جاء به فرنس فانون وهو يصف وحشية الاستعمار واثاره التي تنتقل جيلا بعد جيل فيترك الأب رسالة لابنه الغرض منها أن يبحث عن عظام جدته ليدفنها تحت شجرة بيتهم "الجراد، لطالما أتت إلينا أكثر الجراد ضررا في تاريخنا من البحر، وليس من الصحراء... لم يستطع جدك سليمان التجاني، تلميذ الأمير الشجاع، إلا الاستجابة لدعوته للجهاد مات في عام 1843..."¹² كل هذا يقود الى الأرض المنزوعة بالقوة والتي أخذت منهم الحق في دفن موتاهم والحق في الحياة اين يستباح دمهم في كل حين أين تم قتل الجد في الجاهد ويعزف الابن ان يسير منحى ابيه

الا انه يموت هو الآخر مقتولا من الرومي مثلما تكتيها مليكة مقدم دون ترجمة، لتحيل الى أصولها والى الآخر المتريص الدائم بتلك الأرض.

2.3 الصحراء فضاء وجودي:

كان الفضاء بالنسبة لبطلات مليكة مقدم (ليلي، ياسمين وسلطانة) هو المكان الذي سعين فيه لإثبات وجودهن، رغم حالة التمزق الذي نعيشه بطلات الرواية المدروسة "لأن هذه الكتبان الرملية كانت نقطة الانطلاق للشرد الوحيد الممكن، باستثناء تلك التي سمحت بها القراءة، كانت ليلي تحملها موجة الرمال الثابتة، وهي تحلم بالبحر، وتحلم بالرجال الزرق، كانت تحلم بأماكن أخرى، كانت تحلم بخضرة الربيع وتحول المناظر الطبيعية الى حيوانات أليفة..."¹³ على الرمال تهرب ليلي من الأعمال البيتية التي تفرضها الأم على البنت الكبرى، لتحلم بأماكن خراجة عن الفضاء الذي تعيش فيه في القنادسة.

وفي الرمال يبدأ وعي مليكة اتجاه الحرية والانطلاق وكذلك الهروب من الواقع المعاش إلى واقع آخر، بحثا عن ذاتها وكيونيتها فتكون المدرسة هي وسيلتها الآخر في مقاومة ما تعيشه الفتاة في داخل أسرة كثيرة الأبناء، مثقلة بالعادات والتقاليد التي تجبر البنت أن تظل حبيسة الأعمال الشاقة، والتي تزوج في سن صغير، دون أخذ رأيها في ذلك، فهي لا تملك نفسها لتردد البتلة ليلي شعارا خاصا بها تقول: "المدرسة هي شريان الحياة الوحيد لك"¹⁴ اين تفتح المدرس أمامها مجالات الحياة المختلفة مثل الرجل لتتفوق على أقرانها من أبناء المستعمرين، وكذلك الأولاد من قريتها.

وهذا الفضاء لا يكون داعما ليلي فقط فكذلك الجدة زهرة التي تصفها مليكة بعماد الحكمة والتي حرمت من حياة التنقل بعد الاستعمار، ليكون الترحال مصدرا من مصادر ثقافة هذه الجدة وقوتها هذه الصفات التي لا تراها الطفلة في أمها بسبب خضوعها الدائم، وانحصارها داخل الاعمال البيتية، فهي محرومة من التأمل التي تعيشه كل من الحفيدة والجدة داخل فيافي الصحراء تقول على غلاف الكتاب "خلف الكتبان الرملية وراء بوابة الأرغان الكبرى، توجد الصحراء، وضوئها الساطع، وحرارتها وعواصفها الرملية، وسمائها الهائلة التي نسجها سكان المدينة والمستقلون،

ولكن أيضا الأعناق التي لم تعد تعمل، اضطرت زهرة البدوية أمس، إلى وقف هذه المسيرة الأبدية التي كانت سبب عيشها، وانقاضها من الضياع، أين استقرت عند سفح الجبل، على حدود العالمين، حيث أصبحت راوية القصص التي لا تنسى في العصور القديمة، وعمود الحكمة والتقاليد البدوية...¹⁵ وهو ما عبر عنه غابريال غارسيا مركيز بقوله: "إن الإنسان غير منفصل عن فضائه، بل إنه هذا الفضاء ذاته"¹⁶ فالفضاء يؤثر على شخصية الانسان ونظرتة للعالم من حوله .

قد قررت زهرة تعويض خسارتها للترحال كبدوية من خلال الحكى، لتحكي سنوات ترحالها وتنقلاتها هي وآلاف الرجال الزرق لعدد من السنوات هذا الأسلوب الآخر لتواجد وفرض الوجود بالحكي لتواصل رحلاتها من خلال السرد فتقول: "إننا لسنا نخلات كي نحتاج إلى جذور، نحن نمتلك سيقانا كي نتمشى ونمتلك ذاكرة، كبيرة جدا"¹⁷ أين يفتح الارتباط بالمكان على الذاكرة، لذلك يعد المشي والترحال، جزءا من الطبيعة الذاتية التي يعيش من خلالها هؤلاء، لتقاوم الاستيطان لسنوات باستخدام السرد الذي حافظ على ثقافة السكان الاصليين من الاندثار فكان التواجد من خلال السرد، فتقول على لسان زهرة "إن جمود الشخص المستقر، هو الموت الذي يمكسك بقدمي، لقد جردوني من سعي الآن كل ما تبقى لي هو بدوية الكلمات"¹⁸

لتنقل لأحفادها سنوات الترحال وتراثها الثقافي الشفوي المقاوم للموت، والذي يؤكد على ما عشته الجدة وغيرها من الرحل.

تتخذ الكاتبة أيضا وسيلة لمقاومة ما عاشته من اغتراب في فرنسا، وذلك من خلال العودة الى حكايات الجدة، وربطها بحكاياتها الخاصة التي تنسجها للعودة الى مسقط رأسها في القنادسة بالرغم من سخطها على عديد المظاهر التي ميزت طابع الحياة هناك سواء قبل الاستقلال أو بعده، وهذا ما يجعل فضاء الصحراء بالنسبة للكاتبة هو فضاء وجودي كان وراء بداية كتابة روايات البدو الرحل وبداية كتاباتها هي الأخرى.

فأثار مشي البدو كان سببا لقيادة الكاتبة إلى رحلة لا نهائية من خلال الكتابة منذ أول سنة للكتابة في 1990 إلى غاية سنة 2013، ثلاثة عشرة سنة من الكتابة دون

انقطاع أسفرت عن 12 رواية مترابطة بعضها ببعض، وتحيل إلى بعضها البعض، في رحلة أبدية نحو الوجود من خلال الكتابة.

وهذا ما تؤكد عليه ياسمين البنت التي فقدت القدرة على الحديث غير أن والدها لم يستسلم وراح يعلمها الكتابة كبديل عن الصمت فراحت تقاوم من خلال الكتابة، فتقول على لسان الطفلة ياسمين: "بابا، أصابعي لن تلمس الصوف الخشن أبدا...أريد فقط أن أنسج الكلمات، لن تنفذ أيامي أبدا بين الكانون، والقربة، والقصة، لن يتم التضحية بحياتي لأولئك الغيلان نهمي البطون، رحمي لن ينجب الأطفال أبدا"¹⁹ تريد مقدم اثبات ان الوجود يكون من خلال الكتابة، فالكتابة بالنسبة لها هو التناسل الوحيد المخلد لوجود الانسان في رحلة ابدية نحوى الوجود.

3. خاتمة:

يوضح هذا المقال تجدر الفضاء في كتابات مليكة مقدم، أين يصبح هذا الفضاء هو الكاتبة ذاتها، فتضم الصحراء إلى جسدها، وتسافر بها خارج حدود المكان، في شوارع مدينته مونيبيه، ترسم من خلال كتاباتها توسعا كونيا، تطغى وتسيطر فيه الصحراء على غيرها من الأماكن، اين لا تفصل بين التجول في نفسها وبين الطوفان في الكثبان الرملية، لتبدوا الصلة الحقيقية بينها وبين هذا الفضاء المهيم.

ولقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي توضح علاقة الفضاء بكتابات مليكة مقدم أين يظهر فضاء الصحراء، في كل الروايات المدروسة (الرجال الذين يسرون، قرن الجراد، الممنوعة)، والذي لا تستغني فيه مليكة مقدم من غرس ريشتها في رمالها والكتابة على سمائها. أحلام وطموحات بطلاتها، في أن يتعلمن ويقفن في دروب الحياة بعيدا عن الاعمال البيتية، ولا يكن لهن ذلك إلا بعد ان تروضهم الصحراء، فيقفن على كتيها بأحلام وسعت صحرائهن.

غير أن الكاتبة تستخدم جمال الصحراء في مداعبة اللغة حيناً وفي تشفير كتاباتها حيناً آخر، كما أنها تشن غضبها في أحيان كثيرة على هذه البقعة من الأرض،

وتدافع عنها حيناً آخر، ما يظهر العلاقة الغير سوية بين الكاتبة وعائلتها التي تسقطها على هذا الفضاء.

تمزج مليكة بين الكتابة من الذاكرة والخيال، وذلك قصد رواية حياة البدو وتنقلاتهم المحفوفة بالمخاطر، وربطها بالحاضر الذي تشكل نتاجا للعنف الذي عاشه الشعب الجزائري لأكثر من قرن ونصف من الزمن.

4. الهوامش:

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، ج4، ص16

² إبراهيم الحسين: مجتمع البيضان، الإنسان، المجال ونمط العيش، آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد 87، 2004، ص 108.

³Malika mokaddem: Les Hommes qui marchent (Ramsay, 1990):p76.

⁴ Ibid, p13-14.

⁵ Ibid, P276.

⁶ Malika mokaddem Le Siècle des sauterelles, Ramsay, 1992, P 12.

⁷ Ibid, P 1.

⁸ مليكة مقدم: الممنوعة ترجمة: محمد ساري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص7.

⁹ المرجع السابق، ص ن.

¹⁰ Malika mokaddem: Les Hommes qui marchent ,P320 .

¹¹ Malika mokaddem : Le Siècle des sauterelles, Ibid, P14.

¹² Ibid, P27 .

¹³ Ibid, P257.

¹⁴Ibid, P125.

¹⁵ Le couverture de les hommes qui marchent.

¹⁶ حسن نجمي، شعيرة الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2000، م1، ص25.

¹⁷ مليكة مقدم المتمردة،، ترجمة المزدوي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص97.

¹⁸ Malika mokaddem: Les Hommes qui marchent, P9.

¹⁹Malika mokaddem: Le Siècle Des Sauterelles, p 258.